حضور تيمة حضور تيمة التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة
قراءة في نماذج روائية.

The presence of the theme of history in the contemporary Algerian novel (Reading novel models)

الأستاذ شريّط سنوسي[1]*

مخبر المناهج النقدية المعاصرة وتحليل الخطاب

كلية الآداب واللغات

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر الجزائر

cherietsenouci@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2024/01/12 ـ تاريخ القبول: 2024/03/23 ـ تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

يروم هذا البحث التطرق إلى تيمة التاريخ وكيفية استلهامها من طرف الروائي الجزائري في أعماله السردية، بغرض تبيان خصوصيات المادة التاريخية التي يختارها الكاتب، والتي تتضمن مجموعة من العناصر المكوّنة لهذه المادة، منها: الأحداث، الشخصيات، الأزمنة، الأمكنة.....

وبما أن الروائي له الحرية في اختيار المادة المناسبة له، وهذا ما لاحظناه في الكثير من النصوص الروائية الجزائرية المعاصرة. منها على سبيل المثال :رواية (كتاب الأمير–مسالك أبواب الحديد) لواسيني الأعرج، رواية (الديوان الإسبرطي) لعبد الوهاب عيساوي، ورواية (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي..... فإن غرضنا العلمي هو النزوع نحو بعض النصوص الروائية الجزائرية المعاصرة، بغية الكشف عن طبيعة استلهام المادة التاريخية فيها، من خلال الانفتاح على عوالمها، لمعرفة كيفية استثمار المكوّنات/العناصر الخاصة بالمادة التاريخية في هذه النصوص الروائية؟

* **المؤلف المرسل: الأستاذ شريّط سنوسي**

وما مدى اشتغال الكاتب على مقاربة التاريخي بالتخييلي عبر النص الروائي؟ أي كيف تمّ توظيف التاريخ بوصفه خطاباً حقيقياً(الأحداث حقيقية/ واقعية) والتخييل بوصفه خطاباً سردياً يعتمد على التخييل في الأعمال الروائية الجزائرية المعاصرة؟

كلمات مفتاحية:السرد-النص-التاريخ-الخطاب-التخييل-المقاربة.

Abstract: This research aims to address the theme of history and how it was inspired by the Algerian novelist in his narrative works, with the aim of clarifying the peculiarities of the historical material chosen by the writer, which includes a group of elements that make up this material, including: events, characters, times, places...

Since the novelist has the freedom to choose the appropriate material for him, this is what we observed in many contemporary Algerian fictional texts. Among them, for example: the novel (The Book of the Prince - Paths of the Iron Gates) by Wassini Al-Araj, the novel (The Spartan Diwan) by Abdel-Wahhab Issawi, and the novel (Memory of the Flesh) by Ahlam Mosteghanemi... Our scientific purpose is to tend toward some contemporary Algerian fictional texts. In order to reveal the nature of inspiration for the historical material in it, through openness to its worlds, to know how to invest the components/elements of the historical material in these fictional texts? To what extent does the writer work on approaching the historical with the imaginary through the fictional text? That is, how were history employed as a real discourse (events are real/realistic) and fiction as a narrative discourse based on imagination in Algerian novels?

Keywords: narrative - history - imagination - text - discourse – approach.

1.مقدمة:

شهدت الرواية الجزائرية تراكماً كمياً ونوعياً في المسارد الروائية التي ظهرت على مستوى الساحة الأدبية منذ تأسيس هذا الفن في الجزائر، والذي يعود إلى سنة1971 مع رواية (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوقة (ولو أن قضية التأسيس لا زالت تثير نقاشات عديدة ومتعددة لدى العديد من الكتّاب والنقاد على اعتبار أن هناك روايات أخرى تسبق رواية (ريح الجنوب)، مثل: رواية (غادة أم القرى)1947 لرضا حوحو، ورواية (صوت

الغرام)1967 لمحمد منيع، وورواية (الحريق)1957 لنور الدين بوجدرة، ورواية (الطالب المنكوب)1951 لعبد المجيد الشافعي. بالإضافة إلى نص(حكاية العشاق في الحب والاشتياق)1849 لمحمد بن براهيم (الأمير مصطف) .....

يتوزع هذا التراكم السردي الروائي على اختلاف أشكاله وتيماته وأساليبه المختلفة. على أنواع روائية عديدة، منها الرواية الواقعية، الرواية الرومانتيكية، الرواية الخيالية، الرواية التراثية، الرواية التاريخية....

تعتبر الرواية التاريخية من أكثر وأبرز الأنواع الروائية حضوراً في المشهد الروائي الجزائري. لكونها تستمد مواضيعها وتيماتها الأساسية من التاريخ. لذلك عرفت الرواية الجزائرية عدة أعمال إبداعية تمتح أحداثها من التاريخ بأنواعه المختلفة: المحلي، العربي، العالمي، الإنساني، الإسلامي....ومن ضمن الأعمال الروائية التي تدخل ضمن هذا النوع، نذكر منها روايات: (اللاز)1974، (الزلزال)1974، (عرس بغل)1982، (الشمعة والدهاليز)1994) للطاهر وطار، وروايات (معركة الزقاق)1986، (التفكك)1982، (فوضى الأشياء)1990 لرشيد بوجدرة، وروايات: (نوار اللوز: تغريبة صالح بن عامر الزوفري)1983، (ما تبقى من سيرة لخضر حمروش)1985، (كتاب الأمير –مسالك أبواب الحديد–)2004، حيزيا زفرة الغزالة الذبيحة كما روتها لالة ميرا)2023 لواسيني الأعرج، وروايات:(ذاكرة الجسد)1988، (فوضى الحواس)1992، (عابر سرير)2002 لأحلام مستغانمي، وروايات:(طيور في الظهيرة)1976، (دم الغزال)2002 لمرزاق بقطاش، وروايات:(كولونيل الزبربر)2014، (أنا وحاييم)2018 للحبيب السائح، ورواية (الديوان الإسبرطي)2019 لعبد الوهاب عيساوي، ....وغيرها من الروايات التاريخية التي شكّلت مشهداً روائياً متميزاً محلياً ومغاربياً وعربياً .

انطلاقاً من هذا التصور العلمي والمعرفي لطبيعة النصوص السردية الروائية الجزائرية التي اتخذت التاريخ مصدراً رئيساً لمضامينها وتيماتها التي عالجتها. تحاول هذه الورقة البحثية العلمية الإجابة عن بعض التساؤلات المتعلّقة بالكيفية التي تمّ بها توظيف التاريخ في مختلف الروايات الجزائرية المعاصرة. كما ستحاول أيضاً إبراز علاقة الرواية بالتاريخ، من خلال النزوع نحو ثنائية التاريخ/والتخييل، باعتبار أن هذه الثنائية محورية في الكثير من النصوص السردية الروائية سواء كانت عالمية أو عربية أو مغاربية أو جزائرية. فاستلهام التاريخ من قبل الروائي الجزائري شكّل أهمية بالغة، لكونه رام بهذا الاستلهام الاستفادة من المادة التاريخية في نصه، بغية معالجة مختلف القضايا المتعلّقة بالمجتمع الجزائري، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية والثقافية. عبر إسقاط دلالات المادة التاريخية على الواقع المعيش.

2.التاريخ بوصفه تيمة للرواية:

يعرّف العديد من العلماء التاريخ بأنه مجموعة من الأحداث التي وقعت في زمن مضى. أي هو مجموعة من الوقائع التي حدثت فعلاً في الواقع في زمن معين. ومن ثم، فإن المادة التاريخية هي مرتبطة بالوقائع والأحداث التي وقعت عبر الزمن. وهذه المادة جعلت الروائي يسارع إليها لاتخاذها مصدراً أدبياً وفنياً وجمالياً لتشكيل روايته. في هذا الشأن يرى الناقد جابر عصفور أن "التاريخ سرد لأحداث الماضي التي وقعت، وتسجيل لأحداث الحاضر التي تقع"[1]. أي أن التاريخ يقوم على ثنائيتين أساسيتين، فهو يجمع بين الماضي والحاضر. يسرد الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي، ويقوم بتسجيل الوقائع والأحداث التي تقع في الحاضر.

انطلاقاً من هذه الخصوصية التي ينفرد بها التاريخ، نستطيع القول إنّ التاريخ شكّل عنصراً رئيساً لدى الروائيين الجزائريين، لما تضمّنه من مادة أساسية، ساعدتهم في كتابة رواياتهم، ومعالجة مختلف القضايا، بناء على ما قدّمه لهم التاريخ من أحداث وشخصيات ومواقف وسلوكات وظواهر مختلفة، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بحقبة زمنية معينة. ونظراً لأهمية التاريخ في المنظومة الروائية بشكل عام، لكونه أمدّ الكتّاب عموماً بمادة حكائية جد هامة. لذلك نجد الروائي المغربي بنسالم حميش يقول عن هذه المقاربة (التاريخ/الرواية):"إن الرواية تاريخ، والتاريخ رواية"[2]. باعتبار أن أغلبية الأدباء ينهلون مواضيعهم من التاريخ، أي يستقون مضامين رواياتهم من أحداث تاريخية أو شخصيات تاريخية أو مواقف ذات صلة بالتاريخ. يقول الروائي المغربي أحمد المديني:"لقد كانت الرواية التاريخية والوطنية والسياسية، والواقعية عامة هي الوعاء السردي الذي احتوى مرحلة بكاملها، ومثّل صورها والمشاعر الدافقة لجيل وأكثر، لم يكن الخطاب الروائي فيها يختلف كثيراً عن نظيره الإيديولوجي، والسياسي التعبوي، وإن وُجدت استثناءات، فإنها ترسخ القاعدة الداعية إلى أدب تعبيئي لا ينفصل عن جذور الحركة التحريرية، ويتواشج بقوة مع شعارات الثورة الزراعية والصناعية وما شاكل مما أطلقته القيادة السياسية العسكرية بعد الاستقلال وحلقات التغيير والانقلابات الداخلية..."[3].

من هذا المنظور، نجد أن معظم الروائيين الجزائريين عكفوا في مجمل أعمالهم الروائية، على محاكاة التاريخ محاكاة تقوم على اختيار المادة التاريخية المناسبة التي تساعدهم على رسم معالم الرواية التي عمد الكاتب إلى تأليفها .

وبنظرة تمعنية في المنجز السردي الجزائري منذ تشكله (بداية من1971)، نلاحظ أن التاريخ لعب دوراً جوهرياً في المعمار الروائي الجزائري، حيث نجد أغلبية النصوص الروائية تحمل سمات تاريخية في ثناياها، وتعبّر عن رؤى وأفكار الكاتب تجاه التاريخ الذي استقى منه أحداث ومضامين روايته. وهذا ما نجده تجسّد بشكل واضح في

النصوص الروائية التالية: (اللاز، الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء) للطاهر وطار، (معركة الزقاق، التفكك، تيميمون، فوضى الأشياء) لرشيد بوجدرة، (الحب في المناطق المحرمة، رائحة الكلب) لجيلالي خلاص، (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير) لأحلام مستغانمي، (نوار اللوز: تغريبة صالح بن عامر الزوفري، ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، ذاكرة الماء، حارسة الظلال، سيدة المقام، ضمير الغائب، كتاب الأمير-مسالك أبواب الحديد-) لواسيني الأعرج، (المراسيم والجنائز، بخور السراب، أشجار القيامة) لبشير مفتي، (مرايا الخوف) لحميد عبد القادر، (دم الغزال، المطر يكتب سيرته) لمرزاق بقطاش.....

3.بين الرواية التاريخية والتخييل التاريخي:

يعدّ مصطلح "الرواية التاريخية" أكثر المصطلحات ذيوعاً وانتشاراً بين أوساط الأدباء والنقاد بصفة عامة. باعتبارها تحيل على تداخل وتقاطع بين عالمين مستقلين: عالم الرواية بوصفه يحمل خطاباً سردياً تخييلياً، وعالم التاريخ بوصفه يحمل خطاباً واقعياً لمجموعة من الأحداث الحقيقية وقعت في زمن مضى. ولكن هناك مَنْ يُفضِّل استعمال مصطلح "التخيّل التاريخي" مثل الناقد العراقي (عبد الله إبراهيم) الذي يعتبره المصطلح الأنسب للحديث عن موضوعة التاريخ ضمن قالب الرواية. يقول:" أصبح من اللازم إحلال مصطلح(التخيّل/التخييل التاريخي) محل مصطلح(الرواية التاريخية)، فهذا الإبدال سوف يدفع بالكتابة السردية المتصلة بالتاريخ إلى تجنب ما يثار حولها من خلاف كلّما نوقشت قضية الأنواع الأدبية وحدودها، ووظائفها، وسيتولى، فضلاً عن ذلك، ردم ثنائية الرواية والتاريخ، ويعيد دمجهما في هوية سردية تختلف عنهما، فلا ترهن، تلك الهوية الجديدة، نفسها لأي من طرفي الثنائية، وإلى ذلك، فسوف يحدّ ، هذا التغيير، من التنقيب الذي لا ترتجى منه فائدة في مقدار خضوع التخيّلات السردية لمبدأ مطابقة المرجعيات التاريخية أو انفصالها عنها، فتنفتح الكتابة على ضرب من التعبير السردي لا يحمل وقائع التاريخ نفسها، ولا يقرّرها، ولا يعرّفها، وإنما يبحث في طيّاتها عن العِبر المتناظرة بين أحداث الماضي وأحداث الحاضر، ويسعى إلى رسم التماثلات الرمزية فيما بينها،..."[4]. ويعدّ هذا المصطلح في حقيقة الأمر "محاولة لتفكيك ثنائية الرواية والتاريخ من خلال دمجهما معاً في هوية سردية جديدة، تعمل على إزاحة مقدار الخضوع الذي يمكن للتخييل السردي أن يعاني منه تحت ضغط سلطة المرجعيات التاريخية عليه"[5].

وتسمية "الرواية التاريخية" في الحقيقة يثير إشكالاً معرفياً يتعلّق بخاصية الأنواع الروائية، على غرار: الرواية الواقعية، والرواية الاجتماعية، والرواية الرومانسية، والرواية البوليسية، والرواية الفنتاستيكية، ورواية الخيال العلمي.....فهذه الأنواع لا تعكس حقيقة التيمة أو الموضوعة التي يعالجها الروائي في نصه. فنحن نعتبر النص

الروائي الذي ألّفه الكاتب هو رواية وفقط. بغض النظر عن الموضوعة التي يعالجها، على أساس أن هذه الروايات بأنواعها المذكورة تتعدد فيها التيمات، حيث نجد ضمن الرواية الواقعية مثلاً مضموناً متعلّقاً بالمجتمع والرومانس. والرواية الاجتماعية قد تتضمّن الفنتاستيك، أي حكاية شعبية عجيبة أو قصة أسطورية، وقِسْ على الأنواع الأخرى. فكذلك بالنسبة للرواية التاريخية، حيث لا يمكننا أن نعتبر رواية تناولت شخصية من الماضي وتتبعت مسارها، رواية تاريخية. فحتى الرواية الواقعية قد تمتح شخصية من التاريخ ليسقطها الروائي على الواقع المعاصر. فكيف نسمي هذا الرواية واقعية أم تاريخية أم اجتماعية؟. فهذا إبراهيم الكوني يعترف في ندوة علمية حول (الرواية والتاريخ) بما يلي:" لم أعتقد يوماً أنني كتبت روايات تاريخية"[6]. رغم أنه كتب العديد من الروايات مستوحاة من التاريخ، على غرار: رواية "المجوس" ورواية "يوسف بلا أخوته"، ورواية "جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة".

فهذه "الأنواع" هي مجرد تصنيفات على حسب التيمات التي تعالجها لدى الكثير من النقاد، خاصة محمد برادة الذي يرى أن هناك العديد من الدراسات والأبحاث التي اشتغلت على عاملي التأريخ والتصنيف للأدب عموماً، والرواية خصوصاً بالاعتماد على مضامين الروايات المدروسة. يقول في هذا الشأن:"وما أسعى إليه هنا، يختلف عن التأريخ والتصنيف بحسب اتجاهات ثيمائية تقسّم الرواية إلى تاريخية أو بوليسية أو عاطفية أو رواية حرب أو مقاومة..."[7].

فالتركيز على تقسيم الرواية إلى أنواع-في اعتقادنا- غير مجدٍ وغير مهمٍ بالنسبة للرواية في حدّ ذاتها، ولا بالنسبة للقارئ، على اعتبار أن القارئ هو الفيصل في تأويل أحداث الرواية، وحتى في تصنيفها، بناء على التيمات والمضامين التي تطرحها الرواية. يقول الناقد سعيد يقطين:"ما يدفعنا إلى طرح هذه التساؤلات، يتصل بطبيعة الرواية في حدّ ذاتها. فإذا كنا في مراحل البدايات الأولى للرواية العربية وحتى الأجنبية أمام تصنيف الرواية التي تتخذ مادتها من التاريخ بأنها رواية تاريخية، بتنا مع ظهور نظريات لا تؤمن بالنوع، وخصوصاً منذ السبعينات من القرن العشرين أمام مفهوم "النص" بديلاً عن الجنس أو النوع. فالروائي يكتب "رواية" بغض النظر عن نوعها، وبدون أي فكرة مسبقة عن النوع الذي يمكن أن تندرج فيه"[8]. لذا نعتبر أي نص حَمَلَ في غلافه جنس رواية، عملاً روائياً وحسب. ونتعامل معه انطلاقاً من هذا التجنيس الذي أراده له الروائي، وهو تعاقد أجناسي بين الروائي والقارئ، يقرأ هذا الأخير بموجبه النص. في هذا السياق يرى الناقد عبد الملك أشهبون "أن "الأنواع" أو "الأجناس" هي

بمثابة تنميطات مفهومية نظرية لا توجد بالضرورة بشكل نقي، "ويمكن بالتالي ل"جنس" واحد أن يستوعب بهذه الدرجة أو تلك، أساليب الأنواع الثلاثة مجتمعة(يقصد الغنائية والملحمة والدرامية)"[9].

من هذا المنظور، نجد بعض الأدباء والنقاد مَنْ أسقط، أو تخلّى عن مصطلح "الرواية التاريخية"، مفضّلاً مصطلح "التخيّل التاريخي". ليس باعتباره نوعاً أدبياً، وإنما لكونه تسمية صحيحة لتجربة الكتابة السردية التاريخية التي تمتح أحداثها من التاريخ. على أساس أن الروائي يجمع في عمله بين الاتكاء على المرجع الحقيقي/التاريخي باعتباره الواقع الفعلي للأحداث، وبين النزوع نحو التخييل لِصَوْغِ كتابة سردية روائية تعيد قراءة التاريخ بنظرة معاصرة. مثلما تناولته الكثير من الروايات العربية والمغاربية مثل:(عبث الأقدار1939، رادوبيس1943،كفاح طيبة1944) لنجيب محفوظ، (المملوك الشارد1891، فتاة الأندلس، صلاح الدين الأيوبي) لجرجي زيدان، (الزيني بركات1989) لجمال الغيطاني، (بَرْق الليل1962، بلاّرة1992،) للبشير خريّف، (نوار اللوز1983، حارسة الظلال1999، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد2004) لواسيني الأعرج، (مجنون الحكم1990، العلاّمة1997) لبنسالم حميش، .....وغيرها من النصوص السردية الروائية التي تتكئ على التاريخ، لتعيد تجسيد الأحداث التي وقعت في الماضي بصياغة تجمع بين الحقيقة والتخييل.

4.استلهام التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة:

لا شك أن التاريخ شكّل مصدراً أساسياً لدى العديد من الروائيين الجزائريين الذين عادوا إليه لاستلهام أحداثه وشخصياته ومضامينه، وقاموا بتوظيفها في أعمالهم الروائية برؤى موضوعاتية تعبّر عن نظرات الكتّاب إلى التاريخ في حد ذاته. لذلك جاءت أعمالهم تحمل مواقف فكرية لهذا التاريخ. ومن خلال تطرقنا لبعض النصوص الروائية الجزائرية التي تتخذ التاريخ مادة رئيسية لمضامينها، نستشف تلك التعابير والمواقف الواضحة من التاريخ.

فرواية (اللاز) التي كتبها الروائي الطاهر وطار بين (سنة1965 و1972). تقوم على استلهام التاريخ بكلّ حيثياته وتفاصيله، حيث يعالج الروائي موضوعة الثورة التحريرية، ويرصد كلّ ما تعلّق بها من أحداث رافقت هذه الثورة، مركّزاً على شخصيتي (اللاز) و(زيدان) باعتبارهما محورا الأحداث التي تدور حولها الرواية. يقول الناقد عبد الحميد عقار عن هذه الرواية :"فقد اختار الطاهر وطار واحدة من أدق لحظات هذه الثورة وأحرجها، لحظة تفاقم الخلافات والتناقضات في صفوف مكوناتها السياسية والعسكرية، وبالأساس في صفوف جبهة التحرير الوطني وبينها وبين الحزب الشيوعي الجزائري"[10] .

ومن ثم، نجد أن الطاهر وطار في روايته لجأ إلى توضيح الصورة الحقيقية للصراع الذي نشب بين أفراد جبهة التحرير الوطني وبين الحزب الشيوعي الجزائري، والذي أدّى في النهاية إلى ذبح (زيدان) لكونه شيوعياً وجاهر بأفكاره الشيوعية، مما جعل بعض أفراد جبهة التحرير يعمدون إلى تلفيق تهمة الخيانة للثورة التحريرية، ووقوفه ضدها. فتمّ ذبحه والتخلص منه. في هذا الصدد يقول الباحث سليم بتقة:"تعالج رواية (اللاز) – التي اخترناها كمؤشر لهذه المرحلة– موضوعاً غاية في التعقيد، حول أحداث الثورة وما صاحبها من إشكالات وطبيعة التحالفات التي طرحت على مختلف القوى التي كان يهمها استقلال الجزائر أولاً. حاول الطاهر وطار–بفضل ما يتمتع به من احترافية– التركيز على تلك الاختلالات التاريخية التي صاحبت الثورة التحريرية، والتي كان من الطبيعي أن تحدث لأي ثورة وطنية بسبب التباين الطبقي الذي كان يميز الفئات البشرية مع أن هدفها واحد هو الاستقلال وكان كبش الفدى لهذه التناقضات(زيدان) الشخصية الشيوعية"[11].

أما بالنسبة لروايته الثانية (الزلزال)، التي كتبها سنة1974 فنجد أن الطاهر وطار عمد فيها إلى رصد حقيقة الثورة الزراعية التي دعت إليها السلطة آنذاك (ممثلة في الرئيس الراحل هواري بومدين)، مركّزاً على التفاصيل الدقيقة لهذه الثورة، حيث نجد الكاتب يصوّر سلوكات ومواقف بعض الشخصيات من قانون الثورة الزراعية. فشخصية عبد الحميد بو الأرواح هو مدير ثانوية بالعاصمة، يمثّل الطبقة البرجوازية الصغيرة في الجزائر التي أصبحت تملك الأراضي الواسعة. ومن أجل المحافظة على أراضيه ومصالحه نجده يقرّر التحرك ضد قرار تأميم الأراضي الذي اتخذته السلطة، فيقرر الذهاب إلى قسنطينة باعتبارها المدينة الأصلية له، والتي يمتلك فيها الأراضي. حيث حاول البحث عن اقاربه بغية توزيع هذه الأراضي عليهم بصورة شكلية فقط. حتى يتجنب قرار التأميم.

إن شخصية (بو الأرواح) تمثّل البرجوازية الجديدة التي ظهرت بعد الاستقلال، وهي تعمل من أجل مصالحها الشخصية، لذلك نجد الناقد مخلوف عامر يصفها بأنها تجمع بين العلاقات الإقطاعية البالية والمظاهر البرجوازية الجديدة، هذه الثنائية في شخصية "بو الأرواح" تدلّ على مدى تلونه كالحرباء وتكيفه مع كلّ وضع جديد"[12].

في رواية (معركة الزقاق) لرشيد بوجدرة، والتي ألّفها سنة1986، تتجلى لنا المادة التاريخية بكلّ عوالقها، حيث جسّد الكاتب ماضي شخصية (طارق)، ليقاربها بشخصية القائد الفاتح (طارق بن زياد). ومن ثم، فإن المادة التاريخية المستلهمة في الرواية هي التاريخ الإسلامي. حيث حاول رشيد بوجدرة أن يسقط دلالات المادة التاريخية الإسلامية بتفاصيلها وشخصياتها على الواقع الجزائري المعاصر، الذي ينخر جسده بفعل الصراعات القائمة بين أفراد مجتمعه.

أما في روايته الثانية (الجنازة) والتي ألّفها سنة2003، فقد عاد فيها الروائي رشيد بوجدرة إلى فترة التسعينيات وما شهدته من أحداث مؤلمة، حيث "يصوّر رشيد بوجدرة عالم الحرب الجزائرية المتعاظمة، من خلال الوقوف على تفاصيل النشاط اليومي للبطلين "سارة" و"سليم". المنتميان لجهاز الشرطة. فمن خلال التساند العاطفي الذي يخلقه الخوف والحاجة إلى مؤنس، تنشأ علاقة عاطفية ملتبسة بين الشخصيتين، تتنامى على إيقاع المذابح والتحقيقات، والبحث عن الإرهابيين، عبر فصول الرواية الخمس التي حملت عناوين زمنية تبتدئ ب:"جوان1995" وتنتهي ب:"ديسمبر2000"، أي على امتداد خمس سنوات من الفوضى الحسية، ومن الرعب والترقب، وترصد القتلة"[13]. قام رشيد بوجدرة في هذه الرواية بالتركيز على الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال فترة التسعينيات والتي عُرفت بالعشرية الحمراء، نظراً للوقائع المأساوية التي شهدتها الجزائر.

أما واسيني الأعرج فيعدّ الكاتب الأبرز الذي اتخذ التاريخ مادة أساسية في معظم أعماله الروائية. فهو يرتكز كثيراً على التيمات التاريخية التي تشكّل بؤرة الصراع والتضاد الذي يعكسه المجتمع، نتيجة المتناقضات التي تحدث، بناء على المعطيات والوقائع التي يفرزها المجتمع.

ففي رواية (سيدة المقام: مراثي الجمعة الحزينة) التي ألّفها الروائي واسيني الأعرج سنة1991، نجد أن هذه الرواية تتعرض لأحداث أكتوبر1988 التي شهدتها الجزائر العاصمة، والتي حوّلت البلاد إلى حالة من الانكسار والاندحار، واضطهاد المثقف ذلك أن الشخصيات المحورية في الرواية تتعرض إلى أنواع القهر والقمع بسبب التصارع السياسي وتطاحن المصالح الذاتية من أجل السيادة والسلطة، كونها شخصيات مثقفة(أنا طوليا التي تُجبر على الرحيل بعد ربع قرن من العمل بالجزائر، مريم راقصة الباليه والراوي أستاذ جامعي دكتور في الفن الكلاسيكي"[14].

لقد عمد واسيني الأعرج إلى تعرية الواقع الجزائري من خلال اتكائه على شخصيات نموذجية، ليوضّح علاقة الموطن الجزائري بالفن، وعلاقته بالآخر، من خلال شخصية (أنا طوليا). إنّ رواية (سيدة المقام) تعيد الحفر في التاريخ الجزائري لتنسج تلك الأفكار والمواقف التي اتخذها البعض ضد المجتمع برمته. وهي الأفكار المعادية للحرية والديمقراطية.

أما في روايته (كتاب الأمير- مسالك أبواب الحديد-)2004، فنجد أن واسيني الأعرج اختار شخصية تاريخية ليشكّل نصاً روائياً، حاول من خلاله أن يغوص في شخصية (الأمير عبد القادر)، ويستعرض أفكاره ومواقفه في العديد من المجالات الحياتية المرتبطة بالجزائر. "تحكي رواية (كتاب الأمير) عن مراحل أساسية من سيرة الأمير عبد

القادر بن محي الدين الجزائري في منفاه بفرنسا، كما تحكي كذلك عن تحركاته الحربية، وتنقلاته العديدة بفعل المطاردة التي يتعرض لها من قبل الفرنسيين، ومن بني جلدته، كما تحكي عن رحلته من باريس إلى تركيا بعد إطلاق سراحه"[15]. فجنوح واسيني الأعرج إلى التاريخ كان من أجل التطرق إلى شخصية (الأمير) والبحث في ماضيها التاريخي ومواقفها، ورصد مسيرتها التاريخية التي عُرفت بها. ونقل هذه المسيرة الحياتية بكلّ ما تحمله من تفاصيل، إلى القارئ ليتعرّف عليها. خصوصاً وأن هذه الشخصية قيل عنها الكثير، واختلف حولها الكثير، نتيجة لمواقفها وأفكارها ضد الاستدمار الفرنسي. شأنها في ذلك شأن رواية (حيزيا زفرة الغزالة الذبيحة كما روتها لالة ميرا)، التي ألّفها الروائي واسيني الأعرج سنة2023 ، وأثارت جدلاً كبيراً بسبب الأفكار والمعلومات التي جاءت في هذه الرواية، حتى قبل أن تصدر الرواية. فشخصية (حيزيا) هي شخصية تاريخية وتراثية في الوقت نفسه. أراد الروائي واسيني الأعرج من خلالها أن يعيد تمثل هذه الشخصية بما تحمله من معان ودلالات في وجدان الشعب الجزائري. خصوصاً وأن الشاعر (بن قيطون) خلّدها في قصيدة شعرية شعبية. ظلت–ولا زالت– تعبّر عن هوية وتاريخ وتراث المجتمع الجزائري.

5.خاتمة:

إنّ ما يمكن استنتاجه من خلال هذا الرصد البحثي للرواية التاريخية الجزائرية، هو أن هذه الأخيرة كان لها حضور كثيف في مسيرة الرواية الجزائرية، حيث عكف العديد من الروائيين على استلهام التاريخ في كتاباتهم الروائية بغية إعادة قراءة هذا التاريخ من منظور موضوعي معاصر. وتقديمه إلى القارئ الجزائري والعربي بشكل عام، حتى يتسنى له معرفته والحكم عليه. ومن خلال النصوص الروائية التي تمّ دراستها نجد أن أساليب توظيف التاريخ اختلفت من روائي إلى آخر، فهناك من ركّز على الحكاية المرتبطة بالمادة التاريخية مثل رواية (اللاز) للطاهر وطار، الذي عاد فيها إلى الثورة التحريرية بغية تجسيد الخلافات والصراعات التي حدثت بين أفراد جبهة التحرير، مركزاً على حكاية (اللاز) ووالده (زيدان) ومشاركتهما في الثورة التحريرية من جهة، ومن جهة أخرى بين (زيدان) ورفقائه في الحزب الشيوعي، والشيخ الملتزم الذي يمثّل التيار الديني في الجزائر. وأيضاً رواية (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي التي عادت فيها الكاتبة إلى الثورة التحريرية فترة1957 التي شارك فيها بطل الرواية وساردها (خالد بن طوبال).

وهناك مَنْ اختار شخصية تاريخية مثل واسيني الأعرج في (كتاب الأمير)، وهناك من استلهم المكان باعتباره فضاءً حقيقياً يرمز إلى الكثير من المعاني والدلالات، مثل: رواية (كولونيل الزبربر) للحبيب السائح، ورواية (الزلزال) للطاهر وطار، ورواية (تيميمون) لرشيد بوجدرة....

هذا التنوع أغنى الرواية الجزائرية من حيث التيمات التي عالجها الكتّاب، فعرفت الرواية الجزائرية قفزة نوعية في مسيرتها الفنية، جعلتها تحتلّ مكانة مرموقة على المستوى العالمي والعربي والمغاربي، بما في ذلك الرواية المكتوبة بالفرنسية مع جيل من الأدباء أمثال مالك حداد، مولود معمري، مولود فرعون، آسيا جبار، رشيد ميموني، كاتب ياسين، ياسمينة خضرة، أمين الزاوي.....وغيرهم من الكتّاب الذين أسهموا بكتاباتهم في معالجة مختلف القضايا المرتبطة بالمجتمع الجزائري. خاصة القضايا التاريخية.

لقد اتخذت الرواية الجزائرية تيمة التاريخ مادة أساسية في تشكيل بناء معماري سردي يقوم على المزاوجة بين التاريخ (المرجعية الواقعية للأحداث)، وبين التخييل(الخطاب السردي المتخيّل)، حيث تمكّن الكثير من الروائيين الجزائريين كتابة نصوص سردية متميزة، تحمل توجهات وآراء فكرية للعديد من القضايا التي مست/ تمس واقع المجتمع الجزائري. وقد حققت بعض هذه النصوص إشادة بمستوى الكتابة والتشكيل السردي على المستوى العربي، حيث فاز الكثير من الكتّاب الجزائريين بجوائز عديد على غرار: رواية (مملكة الفراشة) لواسيني الأعرج الذي فاز بجائزة كتارا للرواية العربية بدولة قطر سنة2015، ورواية (الألسنة الزرقاء) لناصر سالمي والذي فاز بجائزة كتارا للرواية العربية في دورتين مختلفتين سنة (2016) عن رواية (الألسنة الزرقاء)، وسنة (2019) عن رواية (فنجان قهوة وقطعة كرواسون). ورواية (أنا وحاييم) للحبيب السائح، حيث فاز هو الآخر بجائزة كتارا للرواية العربية سنة2019، ورواية (الديوان الإسبرطي) لعبد الوهاب عيساوي الذي نال الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) سنة2020، ورواية (عناق الأفاعي) لعز الدين جلاوجي الذي فاز بجائزة كتارا للرواية العربية سنة2022.

وكذلك حصول الروائي واسيني الأعرج مؤخراً على جائزة (نوابغ العرب) بالإمارات العربية المتحدة في فرع الآداب والفنون لسنة2023 عن مجمل كتاباته الأدبية والنقدية. وهي جائزة مهمة جداً بالنسبة للأدب الجزائري عموماً والرواية الجزائرية على وجه الخصوص.

هذه التتويجات والجوائز المختلفة والمتعددة، تعطي الانطباع بأهمية الرواية الجزائرية ومستويات الكتابة السردية التي وصلت إليها على المستوى العالمي والعربي والمغاربي، بفعل قدرة كتّابها على إنجاز روايات متميزة جداً، وجادة بطبيعة موضوعاتها وتيماتها التي عالجتها، وراقية بمستواها الفكري والمعرفي الذي عكسته. وأيضاً بأساليبها وتقنياتها

وطرائق الكتابة السردية التي اعتمدت عليها ضمن البناء المعماري الذي جاءت وفقه هذه الروايات، وهي أساليب وطرائق جديدة ومعاصرة، تبنّاها الكتّاب بفعل "تيار التجريب" الذي دعت إليه الرواية الجديدة في فرنسا على وجه الخصوص، وكذلك الرواية العربية الجديدة، والذي انخرطت فيه الرواية الجزائرية هي الأخرى، شأنها في ذلك شأن الرواية المغاربية.

6.الهوامش:

1.جابر عصفور: عن الرواية والتاريخ، المجلة الثقافية، تصدر عن الجامعة الأردنية، ع2013/83 ص29.

2.سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون/دار الأمان(المغرب)/دار الاختلاف(الجزائر)، ط2012/01 ص161.

3.أحمد المديني: تحولات النوع في الرواية العربية بين مغرب ومشرق، دار الأمان، المغرب، ط2012/01 ص88.

4.عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، منشورات مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات العربية المتحدة، ج08،ط2016/1 ص05.

5.مفيد نجم: حوار الرواية والتاريخ مشكلة المصطلح، مجلة الجديد(عدد خاص بالرواية والتاريخ)، مجلة ثقافية تصدر في لندن(إنجلترا)، العدد60-2020 ص37.

6.إبراهيم الكوني: الفرار إلى التاريخ، أعمال الندوة العلمية التي نُظمت حول الرواية والتاريخ، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، مصر، المجلد 17/العدد01-1989 ص406.

7.محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب2012 ص29.

8.سعيد يقطين: الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى، فصلية ثقافية، تصدر عن مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، العدد44-2005 ص81.

9.عبد المالك أشهبون: الرواية العربية من زمن التأسيس إلى آفاق النص المفتوح، منشورات وزارة الثقافة، المغرب2007 ص12.

10.عبد الحميد عقار: الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع-المدارس- الدار البيضاء(المغرب)،ط2000/01 ص107.

11.سليم بتقة: أوراق بحثية في النقد والأدب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2014 ص63.

12.مخلوف عامر: تجارب قصيرة وقضايا كبيرة مقالات نقدية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984 ص59.

13.شرف الدين ماجدولين: الرواية الجزائرية: من عنف الثورة إلى ثورة العنف، الأدب المغاربي اليوم: مجموعة من المؤلفين، منشورات اتحاد كتّاب المغرب2006 ص202.

14.سليم بتقة: أوراق بحثية في النقد والأدب(مرجع سابق)، ص142.

15.عبد الرحيم العلام: إعادة تمثل السيرة التاريخية في روايتين مغاربيتين: (كتاب الأمير) لواسيني الأعرج و(الإمام) لكمال الخمليشي، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: (الأدب المغاربي اليوم: قراءات مغربية: مجموعة من المؤلّفين)، منشورات اتحاد كتّاب المغرب2006 ص110.

7.قائمة المصادر والمراجع:

1.أشهبون، ع م، (2007): الرواية العربية من زمن التأسيس إلى آفاق النص المفتوح، منشورات وزارة الثقافة، المغرب.

2.إبراهيم، ع، (2016): موسوعة السرد العربي، منشورات مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات العربية المتحدة، ج08،ط1.

3.بتقة، س، (2014): أوراق بحثية في النقد والأدب، منشورات الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

4.برادة، م،(2012): الرواية العربية ورهان التجديد، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5.يقطين، س، (2005): الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى، فصلية ثقافية، تصدر عن مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، العدد44.

6.يقطين، س، (2012): قضايا الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون/دار الأمان(المغرب)/دار الاختلاف(الجزائر)، ط01.

7.الكوني، إ، (1989): الفرار إلى التاريخ، أعمال الندوة العلمية التي نُظمت حول الرواية والتاريخ، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، مصر، المجلد 17/العدد01.

8.ماجدولين، ش، (2006): الرواية الجزائرية: من عنف الثورة إلى ثورة العنف، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: الأدب المغاربي اليوم: مجموعة من المؤلفين، منشورات اتحاد كتّاب المغرب.

9.المديني، أ، (2012): تحولات النوع في الرواية العربية بين مغرب ومشرق، دار الأمان، المغرب، ط01.

10.نجم، م، (2020): حوار الرواية والتاريخ مشكلة المصطلح، مجلة الجديد(عدد خاص بالرواية والتاريخ)، مجلة ثقافية تصدر في لندن(إنجلترا)، العدد60.

11.عامر، م، (1984): تجارب قصيرة وقضايا كبيرة مقالات نقدية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

12.العلام، ع، (2006): إعادة تمثل السيرة التاريخية في روايتين مغاربيتين: (كتاب الأمير) لواسيني الأعرج و(الإمام) لكمال الخمليشي، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: (الأدب المغاربي اليوم: قراءات مغربية: مجموعة من المؤلّفين)، منشورات اتحاد كتّاب المغرب.

13.عصفور، ج، (2013): عن الرواية والتاريخ، المجلة الثقافية، تصدر عن الجامعة الأردنية، ع83.

14.عقار، ع، (2000): الرواية المغاربية تحوّلات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع-المدارس- الدار البيضاء(المغرب)،ط01.